المعرفة والمعرف

تأليف
حسام الدين أبو المجد

مركز الأبحاث العقائدية :

- إيران ـ قم المقدسة ـ صفائية ـ ممتاز ـ رقم ٣٤
ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨)
الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)
- العراق ـ النجف الأشرف ـ شارع الرسول (صلى الله عليه وآله)
جنب مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله
ص . ب : ٧٢٩
الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)
- الموقع على الانترنت: www.aqaed.com
- البريد الالكتروني : info@aqaed.com

شابك (ردمك) : ٨-٥١٦-٣١٩-٩٦٤-٩٧٨

المعرفة والمعرف

تأليف

حسام الدين أبو المجد

الطبعة الأولى ـ ٢٠٠٠ نسخة
سنة الطبع : ١٤٢٨هـ
المطبعة ستارة

دليل الكتاب

بسم ا الرحمن الرحيم

مقدمة المركز

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق اللّه أجمعين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم ومنكري فضائلهم، من الآن إلى قيام يوم الدين.

الحمد للّه على الهداية وإكمال الدين وإتمام النعمة، والحمد للّه الذي جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين على بن أبي طالب، وأولاده المعصومين (عليهم السلام).

وبعد،

فقد خلق اللّه سبحانه وتعالى البشر لكي يعبدوه، إذ قال في كتابه العزيز: {وما خَلَقْتُ الجِن والإِنْس إِلاّ لِيعبدونِ}(١)، فالهدف الرئيسي من خلق المخلوقات ـ الجن والإنس ـ هو عبادة اللّه جلّ وعلا.

وقبل عبادته، يجب على الإنسان أن يعرف ربه، إذ العبادة فرع المعرفة، فكيف يعبد الإنسان من لا يعرفه؟ وعلى قدر المعرفة تكون العبادة.

١- سورة الذاريات: ٥٦.

والمعرفة لا تكون إلاّ بوسيلة أشخاص معينين، أي يجب على الباري عز وجلّ أن يعرف نفسه لمخلوقاته، ويبين لهم الطريقة والكيفية التي يريدها بالعبادة.

وذلك يتم بواسطة إرسال الرسل والأنبياء إليهم، فقد بعث اللّه تعالى أول معرف به إلى البشر وهو النبي آدم عليه وعلى نبينا آلاف التحية والثناء.

ثم تتالت الرسل والأنبياء من قبل الباري عز وجلّ طوال قرون من الزمان، إلى أن شاء اللّه تعالى ختم إرساله للأنبياء، فبعث نبينا محمد (صلى ا   عليه وآله) كخاتم للرسل والأنبياء.

ولكن هل هذا يعني أن الاتصال بالسماء انقطع بموت خاتم الأنبياء والرسل؟

إن حكمة الباري عز وجلّ اقتضت وجود إمام ووصي لنبينا محمد (صلى ا   عليه وآله) وهو أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومن بعده أولاده المعصومين (عليهم السلام).

واقتضت حكمته تعالى أن يبقي آخر الأئمة (عليهم السلام) حياً، غائباً عن أعين الناس، إلى أن يأذن اللّه سبحانه وتعالى بالظهور فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، إذ عدم وجود وصي وخليفة للنبي محمد (صلى ا   عليه وآله) يعني انقطاع الاتصال بالسماء وموت الرسالة وهلاك البشر.

وقد بين النبي محمد (صلى ا   عليه وآله) في حياته عبر مجموعة كبيرة من الأحاديث، ذلك الإمام والوصي بعده، وبين أيضاً الأئمة والأوصياء

من بعده جميعاً.

وألّف علماؤنا الماضون رحمهم اللّه تعالى، موسوعات عقائدية كبيرة ومتنوعة، أثبتوا فيها وبالأدلة القطعية، أن النبي محمد (صلى ا عليه وآله) أوصى أن تكون الإمامة من بعده لأمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم لولديه الحسن والحسين (عليهما السلام)، ومن بعدهما للتسعة المعصومين من ولد الحسين (عليهم السلام).

والكتاب الذي بين أيدينا ـ وإن كان صغيراً في حجمه، إلاّ أنّه كبير في محتواه ـ محاولة جادة وجديدة، وبأسلوب أدبي حواري، لبيان الأوصياء والخلفاء والأئمة من بعد النبي (صلى ا عليه وآله).

وكاتبه هو الأُستاذ حسام الدين أبو المجد، من أرض الكنانة، كتبه بعد أن وفقّه الباري عز وجلّ لاعتناق مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فأحب أن ينقل تجربته العلمية هذه إلى إخوانه، وأن يلقي عليهم الحجة البالغة، إذ قال في مقدمة كتابه هذا:

«فاعلم يا من وصلك هذا الكتاب بأن الحجة أقيمت عليك، ولا عذر لك بحال من الأحوال، إلاّ إذا فنّدت ما فيه بحجة من العقول مرضية، أو آية كريمة قرآنية، أو سنّة نبوية مجمع عليها، وهيهات..».

فبدأ كتابه هذا ببيان ضرورة معرفة الباري عز وجلّ، وتتم هذه المعرفة بواسطة إرسال «معرف» و «معرفين» من قبل اللّه تعالى، كي يعرفوا البشرية باللّه، وصفاته، وما أراد منهم من العبادة.

ثم ذهب إلى أن اختيار المعرف يكون بيد اللّه تعالى، ويستحيل كونه بيد المخلوق، وبعدها أشار بشكل إجمالى إلى صفات المعرف،

وختم بحثه هذا بذكر بعض الأدلّة التي تدلّ على كون أمير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده المعصومين هم المعرفين والأوصياء بعد النبي محمد (صلى ا عليه وآله)، مما جعله يعتنق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ويأخذ أحكامه الشرعية منهم.

ومركز الأبحاث العقائدية إذ يقوم بطبع هذا الكتاب ضمن «سلسلة الرحلة إلى الثقلين»، يدعو كافّة الإخوة المستبصرين إلى المساهمة في هذا المشروع الحيوي، وتسجيل ما تجود به أقلامهم وأفكارهم من نتاجات وآثار، حيث تحكي بوضوح عظمة نعمة الولاية التي من اللّه سبحانه وتعالى بها عليهم، والمركز على استعداد كامل لطبع نتاجاتهم العلمية، بعد مراجعتها وتصحيحها من قبل اللجنة العلمية فيه.

وختاماً نتمنّى للمؤلّف المزيد من الرقي والتطور العلمي، كما نتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكلّ من ساهم في إخراج هذا الكتاب، ونخص بالذكر فضيلة الشيخ رافد التميمي الذي قام بمراجعة وتصحيح هذا الكتاب واستخراج كافة الموارد التي تحتاج إلى استخراج، والحمد للّه رب العالمين.

محمد الحسون
٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ
Site.aqaed.com/Mohammad
Muhammad@aqaed.com

إهـداء

إلى من ربياني على حب أهل بيت النبي، وسعيا جهدهما لتأصيل ذلك في قلبي، وأنارا سبيلي بذكر أنوار ا ، وعمدا إلى توعيتي ببغض أعداء ا ..

إليهما أُهدي أول ثمرة جهدهما وتربيتهما، وإليهما أقول:

لم يذهب تعبكما ضياعاً، وأتمنّى أن أكون عند حسن ظنّكما بي.

وأقول: ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً.

إلى أبي وأُمي أَهدي ثواب هذا الجهد المتواضع.

وأرجو من ا القبول.

ورجائي من كلّ من يقرأ هذه الصفحات أن يدعو لهما ويتلو سورة الفاتحة ويهديها لوالدي (رحمه ا) رحمة واسعة إنّه أرحم الراحمين.

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل لكلّ من ساعدني في كتابة هذا الحوار بدعائه، أو بتشجيعه، أو بتيسير السبل لذلك، وأخص بالذكر أخي العزيز الذي كتب الحوار بيده المباركة طالباً الثواب على ذلك من رب العالمين، وزوجتي العزيزة التي كتبته على جهاز الكمبيوتر رغم مشاغلها الكثيرة طلباً لثواب رب العالمين، والتي طالما شجعتني وألحت في إخراج هذا الحوار إلى النور، أشكرهما كثيراً، وأدعو ا العلي القدير أن يمن عليهما وعلى جميع من ساندني بالثواب الجزيل والعافية دنيا وآخرة بحقّ أحب خلقه إليه محمد وأهل بيته الطاهرين.

بسم ا الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق باجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها...

وأشهد أن لا إله إلاّ ا وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، لا حبيب إلاّ هو وأهله.

وأشهد أن علياً وأولاده المطهرين حجج ا في أرضه، لا يقاس بهم أحد..

صلوات ا عليهم وعلى من أحبهم من الأولين والآخرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

من المعلوم لدى المسلمين كافّة أن معرفة العقائد الأساسية من أهم المعارف، وأوجب الواجبات، ولا يجوز فيها تقليد الغير،

ولما كانت المعرفة بها على تلك الدرجة من الأهمية بحيث لا يعذر من جهلها، كان لزاماً على من فتح ا عليه بشيء من أنوارها نشرها ؛ لتعم الفائدة..، ولعلّ ا تعالى يهدي بها من أحب. فقد أبى ا أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها، ولعلّ من أسباب الهداية نشر هذا الكتاب الذي يحوي بين دفتيه بحثاً في غاية الأهمية، نظراً لتوقّف معرفة الدين في أصوله وفروعه وجميع تفصيلاته على نتائج هذا البحث، فهو دليل إلى طريق النجاة، بحيث لا يترك عذراً لمعتذر.

فاعلم يا من وصلك هذا الكتاب بأن الحجة أُقيمت عليك، ولا عذر لك بحال من الأحوال، إلاّ إذا فنّدت مافيه بحجة من العقول مرضية، أو آية كريمة قرآنية، أو سنّة نبوية مجمع عليها وهيهات..

ولأهل بيت النبوة (صلوات ا عليهم أجمعين) أهدي هذه الصفحات، راجياً منهم القبول، وطالباً من المولى سبحانها أن يثّبتني على موالاتهم، ومعاداة أعدائهم أبداً ما حييت، إنّه نعم المولى، ونعم المجيب، وأن يجعلني من المستشهدين بين يدي صاحب الزمان ـ أرواحنا لتراب مقدمه الفداء ـ مدافعاً عنه راضياً بذلك غير مكره.

إنّه قريب مجيب سميع الدعاء.

ولكلّ باحث عن الحقيقة، مخلصاً في بحثه عنها أهدي هذه الهدية.

{إن أُريد إلاّ الإصلاح ما استَطعت وما تَوفيقي إلاّ با عليه

توكّلتُ وإليه أُنيب}(١).

وصلّى ا على النبي محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أبد الآبدين.

خادم العترة الطاهرة

حسام الدين عبد الخالق المحمدي

٢ / مايو / ١٩٩٨

٦ / محرم / ١٤١٩

١- سورة هود: ٨٨.

البداية

قابلت ـ ذات يوم ـ شاباً من الشباب ممن يتمتّعون بثقافة عالية وسعة أفق، قليلا ما نجدها في هذه الأيام، تحدثنا في أمور شتّى، وتطرقنا إلى مواضيع مختلفة، يهمني من تلك المواضيع الحوار الذي دار بيننا على مدى أيام متعددة، ذلك الحوار الذي أثمر ثمرة هامة، سيمتد أثرها إلى ما شاء ا من أجيال قادمة.

إنّه حوار حول مسألة تخص الإنسان في صميم ذاته، في دينه، في أفكاره، في سلوكه.

إنّها مسألة الإمامة والسفارة الإلهية بين ا وخلقه، أو بعبارة أخرى (المعرفة والمعرف) حيث تلخّص هاتان الكلمتان فلسفة الإمامة كلّها، بل فلسفة خلقنا.

فقد كنت أحثّه على التمسك بالدين الإسلامي، والعمل بمقتضاه، وما إلى ذلك، فأحسست منه استثقالا، وعدم رغبة في سماع كلامي، فقلت له: ما بك؟ أتريد تغيير الموضوع؟ أم مشغول بشيء تريد الانصراف له؟ أم ماذا؟

فقال: بصراحة تامة إن موضوع الدين مشكل بالنسبة لي.

فحملقت في وجهه متعجباً، لكنّي تداركت ذلك وأشرت له أن يواصل حديثه.

فقال: لا تعجب، فإن الدين الذي تتحدث عنه أصبح موضوعاً اعتبارياً.

زاد تعجبي، واشتدت دهشتي، ثم واصل حديثه قائلا: أي دين تحثّني على التمسك به؟

هل الدين الأشعري أم الماتريدي؟ أم المعتزلي؟ أم الشيعي؟ أم أم.

قائمة طويلة من فرق متعددة، وكلّها تدعي الإسلام.

با عليك هل ا سبحانه يرضى بهذه الاختلافات؟ ألم يرسل الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) ليبين للأمة أمور دينها؟ أي أن الدين واحد فمن أين أتت كلّ هذه الفرق؟ وهل يعقل أن ننسب جميعها إلى الصواب؟!

للأسف أقول عن نفسي: إنّي مسلم!

وأخرج لي بطاقته الشخصية، وقال: انظر ما كتب مقابل الديانة (مسلم) وهكذا الكلّ، من منّا يعرف دينه؟! يا صديقي الكلّ تائه في فلاة ليس لها بداية أو نهاية، الكلّ يريد النجاة من هذه الفلاة، الكلّ يفكّر، يخطّط، يتوهم طريقاً يظنّه كذلك، بل يتيقّن أنّه ذلك، بل وإن غيره لن يوصل إلى النجاة مطلقاً، توهم طريقاً، بل وحصر النجاة في السير عليه، هذا هو حالنا يا صديقي، فرق متعددة، ومذاهب شتّى، وأفكار متقابلة، اختلاف مطلق أو كاد.. وبعد كلّ ذلك تقول لي تمسك بالدين!!

فقلت له: أولست متّفقاً معي على أن أساس الدين هو الكتاب الكريم والسنّة المطهرة؟

قال: نعم، وليس غير ذلك.

فقلت: إذن تمسك بالكتاب والسنّة.

فقال: يا أخي، إنّي لست متخصصاً في الدين، نعم، أقرأ القرآن الكريم والسنّة الشريفة، وأفهم بمقدار ما أستطيع، وليس من المعقول أن يكون مطلوباً من كلّ فرد مسلم أن يتفقّه في الدين، ويتخصص في ذلك، وإلاّ لاختلّ نظام الحياة، لذلك كان هناك فقهاء بالشريعة علماء بالدين، يرجع إليهم عند الجهل أو الشبهة أو الشك، فيكشفون ذلك بما أوتوا من معرفة وعلم، هذا هو المفترض، ولكن الواقع غير ذلك، فإن بالرجوع إليهم تزداد الحيرة، وتتوسع رقعة الإبهام، للأسف فكلّ عالم ينصر مذهبه، ويؤول الآيات ويحور فهم الآحاديث بما يطابق أفكاره وتوجهاته، وإن خالفت العقل والفطرة.

فقلت له: تلك اجتهادات، ولكلّ رأيه.

فقال غاضباً: اجتهادات؟! أصبح كلّ ما في الدين مسرحاً للاجتهاد؟ إذن ليس هناك دين من الأساس، فكلّ له رأيه، فالآراء هي الدين إذن، وليس الكتاب والسنّة، وإنّما هي مجرد واجهة تتمترس وراءها الأفكار والآراء فقط ؛ لتكتسب منها شرعيتها، ولتقبلها العامة بلا جدال.

فقلت: يظهر منك أنّك متحامل على العلماء كثيراً، وتحمل

تجاههم أفكاراً مسبقة.

فقال: لا وا ، ولكنّي أقول ما هو واقع، إنّي أتمنّى أن أجد مخلصاً مما أنا فيه، فإنّي في حيرة لاتدري بها، ثم أطرق لحظات برأسه محاولا مداراة ألمه وحيرته، ثم نظر لي بتعجب واستفهام قائلا: ولكن، أو لست أنت واقعاً في هذه الحيرة؟!

قلت: لا.

فقال: لا، كيف؟!

قلت: الأمر بسيط للغاية، يحتاج إلى تجرد وتعقل فقط، فإذا تجردت وتعقّلت أبصرت مالا يبصره غيرك، فبدى عليه الاهتمام والتأمل بشدة في الكلام.

فقال لي: با عليك إلاّ ما بصرتني بما أورثك كلّ هذه الطمأنينة والثقة واليقين.

المعرف وهدف الخلقة

قلت: لنعود إلى الوراء، إلى حيث المبدأ من بعيد، إلى بدء وجودنا، فنحن نعلم بوجودنا كمخلوقات لابد وأن يكون لنا خالق، ونعلم كذلك أنّنا لم نخلق أنفسنا، ولا خلقنا من هو مثلنا، فتعين أن لنا خالقاً واحداً، أحداً، عالماً، وحكيماً، وقادراً، قيوماً ومن هذه صفته فله هدف وغاية من إيجادنا ؛ لأنّه لا يجوز عليه ـ على ما وصفنا ـ العبث واللهو واللعب، فوجب على كلّ عاقل أن يسأل نفسه: ما غاية خلقنا؟

فالعقل عندما يرى نعم خالقه متواترة عليه في نفسه والكون من حوله، لا يملك سوى الانحناء لخالقه إجلالاً وتعظيماً وشكراً له وحياء منه، هذا ما يدركه عقله ويوجبه عليه ويدرك أن الخالق سبحانه لم يخلق هذا الكون وهذا الانسان عبثاً وقد بين تعالى في كتابه الكريم هذا المعنى فعندما نرجع إلى كلامه جلّ وعلا نراه محكماً في معناه حيث قال سبحانه: {وما خَلَقْتُ الجِن والإنْسِ إلاّ ليعبدون}(١).

فعلمنا أن مراده «جلّ وعلا» عبادته وطاعته والانقياد له، وإذ لا يمكن أن يترك ا لنا الخيار للوصول إلى ما أراد ؛ لأن العقول متفاوتة في الإدراك، وكلّ سيدرك هدفاً غير الآخر، بينما الهدف واحد، ولا يمكن أن يتعدد، لذا اختار ا من بين البشر أُناساً لهم صفات معينة ليقوموا بهذا الدور الإرشادي التوجيهي، وليبلّغونا غاية خلقنا كما أرادها رب العالمين جلّ وعلا.

هنا قال صاحبي: ولم لا يهدينا ا بشكل مباشر، إذ هو قادر على أن يهدي كلّ إنسان بطريقة أو بأُخرى؟

قلت: لا يمكن ذلك ؛ لأن ا ـ سبحانه وتعالى ـ أراد من وجودنا في هذه الحياة أن يختبرنا، ومعنى الاختبار أن يكون الإنسان في وضع الاختيار بين طرف وآخر، أو بين أطراف متعددة.. المهم أن الاختبار الموجه للإنسان يتضمن الاختيار الإنساني، أي: أن ا

١- سورة الذاريات: ٥٦.

ـ سبحانه وتعالى ـ خلقنا وهيأ لنا الحياة الطيبة على الأرض {إنا جعلْنَا ما علَى الأَرضِ زِينَةً لها لِنَبلُوهم أَيهم أَحسن عملا}(١) لكي يترك زمام الاختيار إلى الإنسان نفسه ؛ لأن الإنسان يختلف عن الملائكة وعن الحيوانات الأخرى، فهو يتمتّع بميزتين معاً: العقل والقوة الشهوانية، وهما معاً لا يوجدان في الملائكة ولا الحيوان، لذا الإنسان هو الوحيد (ومعه الجن) المكلّف، ويترتّب على هذا التكليف جزاء إما الثواب أو العقاب، فكان من الطبيعي أن يترك الإنسان إلى اختياره ليحدد مصيره بكامل إرادته، وذلك بعد أن بين ا تعالى له أن في الدنيا طريقين {إنا هدينَاه السبيلَ إِما شَاكراً وإِما كَفُوراً}(٢).

الآن يواجهنا سؤال هام للغاية، وهو كيف نعبد ا تعالى؟ فإذا كان الهدف هو العبادة فبأي طريقة وكيفية تتحقّق؟

والجواب المنطقي على ذلك هو بالمعرفة، أي أنّنا لا يمكننا أن نعبد ا تعالى إلاّ إذا عرفناه، فبقدر المعرفة تكون العبادة، لذا قال تعالى {إنما يخْشَى ا من عباده العلَماء إِن ا َ عزِيز غَفُور}(٣) فكلّما ارتقى الإنسان في المعرفة الإلهية كانت عبادته أرقى وأكمل، فمعرفة ا سبحانه هي أساس العبادة، إذ قد يعبد ا تعالى من لا يعرف ا ، ولايعرف صفاته،ولا أوامره ونواهيه، ولايعلم أي طريق

١- سورة الكهف: ٧.

٢- سورة الإنسان: ٣.

٣- سورة فاطر: ٢٨.

فيه رضاه، وأيها فيه غضبه ـ جلّ وعلا ـ لذا رفع ا العلماء {يرفَعِ ا ُ الذين آمنُوا منكُم والذين ُأوتُوا العلْم درجات وا ُ بِما تَعملُون خَبِير}.

وقال تعالى: {أمن هو قَانتٌ آنَاء الليل ساجِداً وقَائِماً يحذَر الْآخرةَ ويرجو رحمةَ ربه قُلْ هلْ يستَوِي الذين يعلَمون والذين لاَ يعلَمون إِنما يتَذَكر ُأولُوا الْأَلْبابِ}(١).

وعلى مدار التاريخ الإنساني وجدت طوائف كثيرة تعبدت بطرق اخترعوها من تلقاء أنفسهم، فضلّوا الصراط السوي ؛ لأن العالِم بحقائق الأمور، والعالِم بما فيه مصلحة الإنسان وما فيه ضرره هو ا تعالى، لذا انحصر طريق العبادة بما يعرفنا به ا تعالى، وكما ذكر من قبل بأن الحياة هنا حياة امتحان، وأن ا تعالى ارتضى لنا طريق عبادته، فكان من تمام رحمته ـ جلّ وعلا ـ أن يدلّنا على كيفية عبادته، أي أن يعرفنا ذلك، فكان لابد من معرف ؛ لكي لانخطأ الطريق، ولئلاّ يكون للناس على ا حجة، وهو ـ سبحانه ـ له الحجة البالغة على الخلق أجمعين ؛ ولأن ا حكيم منزه عن العبث سبحانه.

وهكذا كان، فأبو البشر (عليه السلام) هو أول معرف وجد في أول مجموعة بشرية على وجه الأرض، واحتفظت تلك المجموعة بإيمانها إلى أن تكاثروا فهجم التفكير المنحرف عليهم، فأوردهم موارد شتّى كل اختار طريقاً، وتيقّن أن النجاة في سلوكه، فاقتضت رحمة ا تعالى

١- سورة الزمر: ٩.

وحكمته بعث معرف يعرف خلقه معالم الطريق ؛ وحتّى يكونوا على بصيرة من أمرهم، قال تعالى: {كَان الناس ُأمةً واحدةً فَبعثَ ا ُ النبِيين مبشرِين ومنذرِين وَأنزلَ معهم الْكتَاب بِالْحق ِليحكُم بين الناسِ فيما اخْتَلَفُوا فيه}(١) فعلى هذا علّة الخلق العبادة، وعلّة وجود المعرف بيان الطرق الصحيحة للمعرفة والعبادة التي يرضاها ا تعالى.

قال صاحبي: لو فرضنا عدم وقوع الاختلاف في معرفة الحقيقة والعبادة الصحيحة، فهل يعني ذلك عدم الاحتياج للمعرف؟

قلت: نعم، مادام المجتمع البشري مجمعاً على «الصراط المستقيم» فلا حاجة للمعرف بعد ذلك، ولما كان الاختلاف بين الناس وهو طبيعة بشرية، اقتضى ذلك وجود المعرف دائماً ؛ ليبين الحق من الباطل، وليكون حجة على العباد.

وفي هذا الأمر يقول ا تعالى:

{ولَو شَاء ربك لَجعلَ الناس ُأمةً واحدةً ولاَ يزالُون مخْتَلفين * ِإلا من رحم ربك وِلذَِلك خَلَقَهم}(٢) فالاختلاف باق ما بقي البشر إلاّ من رحمهم ا بالاجتماع على الحق الذي عرفهم إياه المعرف، ولذلك خلقهم.

فالاجتماع على العبادة هو هدف الخلقة، ولذا نقرأ كلّ يوم في

١- سورة البقرة: ٢١٣.

٢- سورة هود: ١١٨ ـ ١١٩.

صلاتنا الخمس في فاتحة الكتاب: {إياك نَعبد وإياك نَستَعين}(١)، فمادام الاجتماع على العبادة لا يتم إلاّ بوجود المعرف، حيث يجتمعون بسببه على الحق، وعلى دين ا سبحانه، كان بوجود المعرف رحمة ا تعالى. فالرحمة تدور مدار الاجتماع على دين ا تعالى، والاجتماع يدور مدار وجود المعرف وعدمه، فالرحمة تدور مدار وجود المعرف وعدمه، فحجج ا تعالى رحمة ا في خلقه، وهم محلّ الرحمة الإلهية، قال تعالى: {ولَو شَاء ا ُ لَجعلَهم ُأمةً واحدةً ولَكن يدخلُ من يشَاء في رحمته والظاِلمون ما لَهم من وِلى ولاَ نَصير}(٢) الآية الكريمة قسمت الناس إلى قسمين: المرحومين والظالمين.

المرحومون هم من اجتمعوا على دين ا بهداية المعرف وما عداهم فهم الظالمون.

إذن فهدف بعث الرسل هو تصحيح المسار وتوضيح معالم المحجة، تلك كانت مهمتهم، والعلّة الغائية لإرسالهم، قال تعالى: {ولَقَد بعثْنَا في كُل ُأمة رسولا َأن اُعبدوا ا َ واجتَنبوا الطاغُوتَ فَمنْهم من هدى ا ُ ومنْهم من حقتْ علَيه الضلاَلَةُ فَسيروا في الأَرضِ فَانْظُروا كَيفَ كَان عاقبةُ الْمكَذبِين}(٣) وقال تعالى: {وما َأرسلْنَا من

١- سورة الفاتحة: ٥.

٢- سورة الشورى: ٨.

٣- سورة النحل: ٣٦.

قَبلك من رسول إِلا نُوحي إِلَيه أَنه لاَ إِلَه إِلا أَنَا فَاعبدونِ}(١) فهناك عبادة وهي الغاية، وهناك المعرفة وهي شرط لتحققها، وهناك المعرف الذي هو العلّة لتحققهما، وهناك الرحمة الإلهية التي هي لازم مجموع العبادة والمعرفة والمعرف.

ويتّضح مما ذكر أمر آخر وهو أن العبادة هي الصراط المستقيم، وبما أن المعرف هو الذي يدلّنا على العبادة، وهي نفسها الصراط، فالمعرف إذن هو باب ا الأوحد، فلا يمكن الوصول إلى ا بغير طريقة، قال تعالى: {إِن ا َ ربي وربكُم فَاعبدوه هذَا صراطٌ مستَقيم}(٢) وقال تعالى: {وكَيفَ تَكْفُرون وأَنْتُم تُتْلَى علَيكُم آياتُ ا ِ وفيكُم رسولُه ومن يعتَصم بِا ِ فَقَد هدى إِلَى صراط مستَقيم}(٣) وهل من الممكن أن يعتصم أحد با بغير طريق رسوله، ويصل إلى الصراط المستقيم؟!

١- سورة الأنبياء: ٢٥.

٢- سورة آل عمران: ٥١.

٣- سورة آل عمران: ١٠١.

تفويض اختيار المعرف مستحيل

وطالما أن المعرف له الخصوصيات المتقدمة فإن تعيينه يتطلّب دقّة متناهية في الاختيار، أي لابد وأن يكون أكمل أهل زمانه، وأفضل من بعث لهم، فالمرسل ـ عرفاً ـ يرسل أفضل رسول لديه ينطق عنه، فبالرسول يستدلّ على المرسل، وهنا المرسل هو الكامل المطلق فلابد وأن يكون الرسول أقرب الخلق إليه، ومن هكذا صفته أنّى للبشر اختياره، مهما بلغوا من كمال إلاّ أن يكونوا على حد المعرف نفسه، فتنتفي حينئذ فائدة بعثه، فالمرسل يجب أن يكون هو الذي يختار المعرف ؛ لأنّه هو وحده العارف به وهناك نماذج عديدة لمحاولات البشر في تعيين مصيرهم وطريقهم للسعادة ولكنها بائت بالفشل.

فالاختيار إذن وحده، متعلّق به كإله ورب لنا، يستحيل أن يتعلّق بغيره، وفي ذلك يقول ا سبحانه بأوضح بيان: {وربك يخْلُقُ ما يشَاء ويخْتَار ما كَان لَهم الْخيرةُ سبحان ا ِ وتَعالَى عما يشْرِكُون}(١) فالخلق والاختيار له سبحانه {ما كَان لَهم الخيرةُ}

١- سورة القصص: ٦٨.

فالاختيار شأن خاص با ، فيجب التسليم المطلق لاختيار ا ـ سبحانه ـ وإلاّ وقعنا في دائرة الشرك با ، فمن اختار معرفاً وهادياً دون الرجوع سبحانه، فهو مشرك با تعالى، معنى ذلك أن رحمة ا تقتضي إرسال المعرف، وتعريفه لخلقه ؛ لتكتمل الحجة عليهم، وتنقطع أعذارهم.

علامات المعرف

ثمة أمران يعرف بهما المعرف ـ هذا مع كماله في نفسه، وأهليته لذلك، وهذا غني عن البيان ـ وهما: ادعاؤه الرسالة، وإتيانه بالمعجز، وهو البينة على دعواه، فلو تم الأمران وجب التسليم لذيهما بلا أدنى ريب.

وهذا المعرف الذي يأتي بالرسالة مقترنة بالآية (المعجزة) يسمى بـ (الرسول) فإذا انتهت مدة حياته في الدنيا قام مقامه من يسمى بـ (الإمام)، فالمعرف هو: رسول ا وهو ميلاد الرسالة وبدؤها، وإمام وهو استمرار وامتداد للرسول والرسالة، ولابد وأن يكون كاملا كمال الرسول، واختياره كذلك أمر مختص با تعالى كما هو الحال في اختيار الرسول.

قد تستفسر: هل يجب أن يكون الإمام بهذه الصفة؟ وبأي دليل؟

والجواب على ذلك واضح بعد ما تقدم بيانه حيث الاختلاف طبيعة لازمة من اجتماع البشر، نظراً لتفاوت العقول، ورحمة ا وحكمته تقتضيان وجود معرف يعرفهم وجه الحق والصواب فيما اختلفوا فيه، ونفس البيان آنف الذكر يرد هنا.

فاتضح أن الإمام يجب أن يكون أكمل أهل زمانه، وإلاّ انتقض الغرض، وانتفت فائدة نصبه، إذن عدم وجود الإمام معناه عملياً موت الرسالة وهلاك البشر، وعدم كونه كاملا يؤدي إلى نفس النتيجة، فوجود الإمام الكامل هو المتعين.

إذن وجب أن يكون هناك معرف طالما هناك بشر سواء كان رسولا أو إماماً.

قال صاحبي: هناك فرق بين الرسول والإمام، فالرسول يأتي بكتاب فيه تبيان كلّ ما تحتاجه أُمته، فوجود الإمام زائد عن الحاجة، فقبل الرسول لم يكن هناك كتاب يرجع إليه عند الاختلاف، فألحت الحاجة إلى وجوده وقد أورث أمته هذا الكتاب، يرجعون إليه في قضاياهم ومنازعاتهم، فقياس حاجة البشر إلى إمام بحاجتهم إلى رسول قياس مع الفارق.

قلت: إذا كان الكتاب كافياً في حسم النزاعات، وتبيين الحقائق بلا مبين فما الذي حدث بعد وفاة أو استشهاد النبي؟ ما الذي حدث في أمته؟ فقد وقع اختلاف صارخ في القضايا الأصلية والمصيرية، فضلا عن القضايا الفرعية والثانوية، هذا مع ادعائهم كافّة الاعتصام بالكتاب، وإسناد معارفهم إليه!

إن وجود الكتاب مع عدم اقترانه بشارح ومترجم لمعانيه المرادة لا يصدر من حكيم، خاصة إذا كانت لغته في أعلى قمة البلاغة والفصاحة والمعارف الإلهية، نعم قد يفهم منه بعض القضايا الإجمالية

على سبيل اليقين، ولكن في الأمور التفصيلية كافّة أقصى ما يمكن أن يوصل إليه لا يرقى إلى أدنى درجات اليقين، فلا بد من وجود عالم بالكتاب المنزل، يكون هو المرجع في فهمه، ولأن غيره من بقية البشر ليس لديهم العلم بالكتاب فلا يمكن لهم بحال من الأحوال اختيار العالم به، فالجهل بالمعلوم جهل بالعالم به.

اذن اختيار العالم المرجع الذي هو الإمام لا يخلو إما من منزل الكتاب سبحانه أو الرسول المنزل عليه ؛ لأنّه هو وحده من دون بقية البشر عالم بمن هو أعلم بالكتاب، وحيث إن الرسول لا يفعل ولا يقول إلاّ بأمر من ا سبحانه فيكون تعيينه للإمام بعده بأمر ا سبحانه وتعالى.

فقال لي صاحبي: ما قلته أمر كلّي وقاعدة عامة تنطبق على كلّ العصور، وما قلته في ذلك لا غبار عليه، فما جئت به أقوى الحجج، وأكمل البراهين، نور ا قلبك كما أنرت قلبي، وأذهب عنك الشك والشبهة وآثارهما، كما أذهبت ذلك عن قلبي، غير أنّي أريد معرفة هذا الأمر بعد نبينا ورسولنا الأعظم محمد (عليه السلام) إذ معنى ما ذكرت استمرار وجود المعرف بعد رسولنا (صلى ا عليه وآله) معيناً من قبل ا سبحانه وتعالى.

ثم قال: من هو أكمل أهل زمان الرسول (صلى ا عليه وآله)؟ أليس هو أبو بكر؟ ولكن ما قلته من شرط الكمال غير متحقّق فيه، وهو مقر بذلك، فكيف يستخلف الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) من هذه صفته؟ وأين المعرف في زمننا هذا؟

فقلت: وضعت يدك يا صاحبي على الجرح الأعظم، وذكرت المصاب الجال، وإنّي بتوفيق ا عز ذكره لمبين لك هذا الأمر بواضح البيان، ومبرهن لك الحق بأظهر برهان، بما لا يدع لك مجالا للشك أو الشبهة، و الحمد في الأولى والآخرة.

ولكن أسألك با ـ عز وجلّ ـ أن تسمع كلامي بتفكّر، ولا تجعل لهوى أو عصبية سبيلا على عقلك، وأن تدعو ا أن يريك الحق حقاً، ويرزقك اتباعه، وأن يريك الباطل باطلا، ويرزقك اجتنابه، وهو وحده الموفّق والهادي.

صفات المعرف ومصاديقه

أولا: قال أصدق القائلين ـ وقوله شفاء من كلّ داء ـ: {وإِذْ ابتَلَى إِبراهيم ربه بِكَلمات فَأَتَمهن قَالَ إِني جاعلُك لِلناس إِماماً قَالَ ومن ذُريتي قَالَ لاَ ينَالُ عهدي الظالِمين}(١) يستفاد من هذه الآية الكريمة ما يلي:

أ ـ إن الإمامة عهد من ا سبحانه بما لا يدع مجالا لاختيار بشري، فهي جعل من قبله سبحانه: {إِني جاعلُك لِلناس إِماماً} وهذا كقوله سبحانه في موضع آخر: {وربك يخْلُقُ ما يشَاء ويخْتَار ما كَان لَهم الْخيرةُ سبحان ا ِ وتَعالَى عما يشْرِكُون}(٢).

ب ـ إن هذا العهد وهذا الجعل لا ينال الظالمين سواء كان ظلم النفس، أو ظلم الغير، بأي درجات الظلم كما هو معنى الإطلاق من الآية.

ثانياً: قال سبحانه {وممن خَلَقْنَا أُمةٌ يهدون بِالْحق وبِه يعدلُون}(٣).

١- سورة البقرة: ١٢٤.

٢- سورة القصص: ٦٨.

٣- سورة الأعراف: ١٨١.

والمستفاد منها أن ثمة خلقاً من البشر على امتداد خطّ البشرية وحيثما كانوا مهمتهم هداية الخلق، وبسط العدل فيهم، والفعل المضارع {يهدون} شاهد على ذلك، وللتدليل على هذا المعنى قال تعالى {لَيسوا سواء من أَهل الْكتَابِ أُمةٌ قَائِمةٌ يتْلُون آيات ا ـِ آنَاء الليل وهم يسجدون * يؤْمنُون بِا ـِ واليومِ الآخرِ ويأْمرون بِالْمعروف وينْهون عن الْمنْكَرِ ويسارِعون في الْخَيرات وأُولَئِك من الصالِحين * وما يفْعلُوا من خَير فَلَن يكْفَروه وا ـُ عليم بِالْمتقين}(١).

{ومن قَومِ موسى أُمةٌ يهدون بِالْحق وبِه يعدلُون}(٢) {منْهم أُمةٌ مقْتَصدةٌ وكَثير منْهم ساء ما يعملُون}(٣) وغيرها من الدلائل والإشارات كقوله تعالى {إِنما أَنْتَ منذر ولِكُل قَوم هاد}(٤) {ربنَا واجعلْنَا مسلمينِ لَك ومن ذُريتنَا أُمةً مسلمةً لَك}(٥). فكلّها دلائل على عدم خلو الأمم على طول خطّ وجودها من منذر أو هاد.

وهذه الأمة التي تهدي الناس إلى الحق، وتبسط فيهم العدل إنّما يهدون بأمر من قبل ا . سبحانه وتعالى، ولذا قال سبحانه {وجعلْنَا منْهم أَئِمةً يهدون بِأَمرِنَا لَما صبروا وكَانُوا بِآياتنَا يوقنُون}(٦) فجعل

١- سورة آل عمران: ١١٣، ١١٤، ١١٥.

٢- سورة الاعراف: ١٥٩.

٣- سورة المائدة: ٦٦.

٤- سورة الرعد: ٧.

٥- سورة البقرة: ١٢٨.

٦- سورة السجدة: ٢٤.

الأئمة من قبله سبحانه، والهداية إنّما هي بأمره سبحانه وفمن كان كذلك وجب اتّباعه، لذا قال تعالى {أَفَمن يهدي إِلَى الْحق أَحق أَن يتبع أَمن لاَ يهدي إِلا أَن يهدى فَما لَكُم كَيفَ تَحكُمون}(١).

ثالثاً: قال تعالى {ثُم أَورثْنَا الْكتَاب الذين اصطَفَينَا من عبادنَا فَمنْهم ظَالِم لِنَفْسه ومنْهم مقْتَصد ومنْهم سابِقٌ بِالْخَيرات بِإِذْنِ ا ِ ذَلِك هو الْفَضلُ الْكَبِير}(٢) والمستفاد من الآية أن ا سبحانه وتعالى قد اصطفى من هذه الأمة عباداً، واختارهم اختياراً ؛ ليرثوا علم الكتاب الكريم، وليكونوا أهلا لحمله، وهم السابقون بالخيرات. فالمستفاد من مجموع ما ذكر أن الإمامة عهد من ا لا يعطى لظالم، فالإمامة تعهد إلى أناس قد اصطفوا من قبله ـ سبحانه ـ ليهدوا بأمره الخلق إلى الحق، ومعنى ذلك أن الإمام يشترط فيه أعلى درجات الطهارة، وهي المعبر عنها بـ (العصمة) وهي عدم الظلم في الآية الأولى، والاصطفاء في الثانية، وأعلى درجات العلم ؛ إذ لا يعقل الهداية إلى الحق بلا علم به، مع أن شرط العصمة وحده كاف، إذ معنى العصمة الكمال، فبعد انقضاء حياة الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) لابدّ من وجود المعرف بعده ؛ ليبين لنا حقائق الكتاب ومعارفه بعده والرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) وهذا المعرف (الإمام) يجب أن يكون معصوماً عن الظلم، وعالماً بالكتاب كلّه.

١- سورة يونس: ٣٥.

٢- سورة فاطر: ٣٢.

وطالما الأمر كذلك فوجب في الحكمة الإلهية تعريفهم لنا ؛ لئلاّ نضلّ، وهو الغاية، فلنرى إذن من هم أئمتنا بعد رسولنا الكريم (صلى ا عليه وآله وسلم).

قال سبحانه: {فَاسأَلُوا أَهلَ الذكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعلَمون}(١) والذكر هو الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) وهو القرآن، والدليل على الأول قوله تعالى: {قَد أَنزلَ ا ُ إِلَيكُم ذكْراً * رسولا يتْلُو علَيكُم آيات ا ِ مبينَات لِيخْرِج الذين آمنُوا وعملُوا الصالِحات من الظلُمات إِلَى النورِ}(٢).

والدليل على الثاني قوله تعالى: {إِنا نَحن نَزلْنَا الذكْر وإِنا لَه لَحافظُون}(٣). وكلا المعنيين مراد ؛ فأهل القرآن عدله، على أعلى مستوى من الكمال الذي يناسب كلام اللّه، فأهل القرآن على علم كامل به، ومن هذه صفته فلابد وأن يكون على أعلى قمة الطهارة.

فأهل القرآن هم مطهرون وهذا هو المطابق للآية الكريمة {ثُم أَورثْنَا الْكتَاب الذين اصطَفَينَا من عبادنَا}(٤) فالمطهرون هم المصطفَون من العباد، وهم الأمة الذين يهدون بالحق وبه يعدلون ؛ لأن من يعرف الحقّ معرفة كاملة، هم أهل الكتاب الذين أُورثوه، والمطهرون المصطفون من قبل ا سبحانه، فمن من الأمة المطهرون والمصطفون من قبل ا ؟

١- سورة النحل: ٤٣.

٢- سورة الطلاق: ١٠، ١١.

٣- سورة الحجر: ٤.

٤- سورة فاطر: ٣٢.

لا نجد في كتاب ا سبحانه سوى آية واحدة تعرضت لتعريف المطهرون من هذه الأمة، وهم أهل الذكر أي الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) «وهو المعنى الثاني من الذكر، والآية هي: قال تعالى: {إنما يريد ا ُ لِيذْهب عنْكُم الرجس أَهلَ الْبيت ويطَهركُم تَطْهيراً}(١) فحصر ا سبحانه إرادة إذهاب الرجس عن فئة محددة وهم أهل البيت (عليهم السلام) والرجس القذارة والإثم مطلقاً، وللتأكيد قال تعالى {ويطَهركُم تَطْهيراً} لئلاّ يدع سبحانه مجالا للقيل والقال، فهي طهارة مطلقة خاصة بهم (أهل البيت) وأهل البيت وضحهم لنا القرآن نفسه في الآية الكريمة: {فَمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من الْعلْمِ فَقُلْ تَعالَوا نَدع أَبنَاءنَا وأَبنَاءكُم ونساءنَا ونساءكُم وأَنْفُسنَا وأَنْفُسكُم ثُم نَبتَهِلْ فَنَجعلْ لَعنَةَ ا ِ علَى الْكَاذبِين}(٢) والابتهال إنّما يقبل من الصادق المخلص المطهر، فالرسول (صلى ا عليه وآله) أتى بأطهر الأمة، ولو كان هناك من هو أطهر ممن أتى بهم لما أتى بهم، وهو في معرض الابتهال ودعاء للتفريق بين الحق والباطل، وقد أتى بأمر من قبله ـ سبحانه وتعالى ـ فا أعلم بالشاكرين.

فأتى (صلى ا عليه وآله وسلم) بمن هو بمنزلة نفسه، والنساء والأبناء هؤلاء هم أهل بيته، وكما قال تعالى: {وأَنزلْنَا إِلَيك الذِّكْر لِتُبين لِلناسِ ما نُزلَ إِلَيهِم

١- سورة الأحزاب: ٣٣.

٢- سورة آل عمران: ١٦.

ولَعلهم يتَفَكرون}(١) فقد بينهم لنا بفعله (صلى ا عليه وآله وسلم) فأجمع الرواة أن من اصطحبهم الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) للمباهلة كانوا أربعة نفر لا غير وهو الخامس (صلى ا عليه وآله وسلم): علي، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهم السلام) فأنفسنا هو علي (عليه السلام).

(ونساءنا) هي فاطمة (عليها السلام) و (أبناءنا) هما الحسن والحسين (عليهما السلام) وما ورد في تفسير آية التطهير كان المطهرون هم الخمسة (عليهم السلام) انظر من مصادر أهل السنة التي روت هذا المعنى عن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) بأسانيد صحيحة: صحيح مسلم(٢)، سنن الترمذي(٣)، مسند أحمد بن حنبل(٤)، الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر الشافعي(٥)، المستدرك للحاكم النيشابوري(٦)، وغيرها من المصادر الكثيرة.

فمن كان مطهراً من قبله «تعالى» كيف نجرؤ ونقدم عليه غيره، وكيف نثق بمعارف من أخذ عن غيرهم علوم دينه وإذا كان لدينا

١- سورة النحل: ٤٤.

٢- صحيح مسلم ٧: ١٣٠، باب فضائل أهل البيت:.

٣- سنن الترمذي ٥: ٣٦١، ما جاء في فضل فاطمة:، و٥: ٣٢٨، كتاب تفسير القرآن.

٤- مسند أحمد ١٨: ٣١٤، وأخرجه ابو يعلى الموصلي في مسنده ١٢: ٣٤٤، والطبراني في المعجم الكبير ٣: ٥٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣: ٢٠٣ و١٤: ١٤١.

٥- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين: ١٠٦.

٦- المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٧.

الكامل كيف نتركه ونتوجه إلى الناقص!

{وما يؤْمن أَكْثَرهم بِا ـ إلا وهم مشْرِكُون}(١) فهل هناك في الأمة أمة يهدون بالحق وبه يعدلون غير أهل البيت (عليهم السلام) وقد تسأل ومن الإمام بعدهم (عليهم السلام) إلى زمننا هذا؟

والجواب: أن القرآن أوضح لنا القائم مقام الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) وأنّه لابد أن يكون كاملا مطلقاً، ولما كان هذا البيت أطهر بيت وجب أن يكون باقي الأئمة (عليهم السلام) منه، وقد دلّنا على ذلك قول المطهرين (عليهم السلام) فلما ثبت أن الخمسة هم المطهرون وجب اتّباعهم وتصديقهم في كلّ ما يقولونه، وقد بينوا لنا الأئمة من بعدهم، فوجب تصديقهم، فكان كلّ إمام ينص على من يليه، ولتأكيد الحجة كان للإمام الكرامة والآية التي تثبت دعواه الإمامة، وكان ذلك كاف بحد ذاته لإمامته بلا نص. وغير ذلك، فلم يثبت أن واحداً منهم تعلّم على يد أحد، بل هم الأعلام دونهم، ولم يكن لأحد فيهم مغمز ولا مهمز، وكان فضلهم عميماً على الكلّ بلا استثناء، وقد صرح المصطفى (صلى ا عليه وآله وسلم) بأسمائهم في أكثر من مقام، بل صرح صلوات ا عليه وآله بألقابهم أيضاً.

١- سورة يوسف: ١٠٦.

رواية هامة في المقام

في البدء نورد الرواية المعروفة والمشهورة لدى كلا الفريقين: أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وغيرهم، وهي المعروفة بحديث الثقلين، ونصه كما في صحيح مسلم (ت٢٦١هـ) «وأنا تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب ا فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب ا واستمسكوا به فحثّ على كتاب ا ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكّركم ا في أهل بيتي، أذكّركم ا أهل بيتي، أذكركم ا في أهل بيتي»(١).

وجاء في مستدرك الحاكم بما نصه:... عن زيد بن أرقم (رضي ا عنه)، قال: لما رجع رسول ا (صلى ا عليه وآله) من حجة الوداع، ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن، فقال: «كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب ا وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرقا حتّى يردا علي الحوض» ثم قال: «إن اللّه عز وجلّ مولاي، وأنا مولى كلّ مؤمن» ثم أخذ بيد علي (عليه السلام) فقال: «من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم

١- صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، باب فضائل علي (عليه السلام).

يخرجاه بطوله، شاهده حديث سلمة بن كهيل، عن أبي الطفيل ـ أيضاً ـ صحيح على شرطهما(١).

وفي المستدرك أيضاً «... عن أبي الطفيل، عن ابن واثلة أنّه سمع زيد بن أرقم (رضي ا عنه) يقول: ثم نزل رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) بين مكّة والمدينة، عند شجرات خمس دوحات عظام، فكنس الناس ما تحت الشجرات، ثم راح رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) عشية فصلّى، ثم قام خطيباً فحمد ا وأثنى عليه وذكّر ووعظ، فقال ما شاء ا أن يقول، ثم قال: «أيها الناس، إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتبعتموهما وهما كتاب ا وأهل بيتي عترتي» ثم قال: «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» ثلاث مرات، قالوا: نعم، فقال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): «من كنت مولاه فعلي مولاه» وحديث بريدة الأسلمي صحيح على شرط الشيخين»(٢).

وجاء في مسند أحمد (ت٢٤١هـ) بهذا النص «إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب ا وأهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا على الحوض جميعاً»(٣).

وفي سنن الترمذي (ت٢٧٩هـ) ما لفظه:

١- المستدرك على الصحيحين ٣: ١٠٩.

٢- المستدرك على الصحيحين ٣: ١١٠، وانظر تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢١٦.

٣- مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٨٩.

«إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا من بعدي أحدها أعظم من الآخر: كتاب ا حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»(١).

فهذا الحديث المبارك من أهم الأحاديث التي تثبت أحقّية أهل البيت (عليهم السلام) بالمرجعية المطلقة، وأنّهم (صلوات ا عليهم) أجدر من غيرهم بحمل أعباء الإمامة، وهي العهد الإلهي لأبينا إبراهيم عليه وعلى نبينا وآله السلام وذريته المحسنة من بعده. ونستطيع أن نستنتج منه عدة أمور:

الأول: أن أهل البيت هم عدل القرآن الحكيم، ومعنى ذلك أن أهل البيت معصومون كعصمة الكتاب الكريم، وأن عندهم تبيان كلّ شيء، وأن الراد عليهم كالراد على القرآن، حيث إنّنا مأمورون باتّباعهما، ولا يمكن أن نؤمر باتّباع من قد تصدر منه المعصية، أو من قد يجانبه الصواب في جزئية من جزئيات المعرفة، فكما لا يتصور ذلك في القرآن الكريم فكذلك في العترة الطاهرة.

الثاني: أن العصمة من الضلال إنّما هي مشروطة بالتمسك بالكتاب الحكيم وأهل البيت (عليهم السلام). فالتمسك بأحدهما وإلغاء الآخر.

الثالث: كما أن القرآن الكريم باق ما بقي البشر، حجة على العباد، ونوراً لهم في الظلمات، كذلك أهل البيت (عليهم السلام) ولن يأت زمان

١- سنن الترمذي ٥: ٣٢٩.

يوجد فيه أحدهما دون الآخر.

الرابع: أن تعيينهم من قبل الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) بما لا يوجب اختلافاً على معرفتهم ـ واجب، فثبت أنّه عينهم وعرفهم لنا من بعده إلى قيام الساعة.

ولم يعين رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) إلاّ اثني عشر خليفة بعده، ليس فيهم زيادة ولا نقصان، فوجب اتّباعهم.

سؤالان حول مفهوم الحديث الأول:

قال صاحبي: إنّك ذكرت حديث الثقلين بشكل لم آلفه، والذي ألفته وسمعته كثيراً هو «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا أبداً: كتاب ا وسنّتي» وهو مشهور شهرة عظيمة؟

ثم قال: هذا السؤال الأول أما الثاني فبعد إجابتك.

فقلت: رب مشهور لا أصل له، وما شهرته إلاّ بين العامة من الناس فحسب، وأما العلماء فيعلمون أنّه حديث يبعد إمكان الاعتماد عليه ثم إن هذا الحديث ساقط علمياً ؛ لأن فيه من الرواة من قدح فيه بأسوأ أنواع القدح، وهم:

١ ـ إسماعيل أبي أويس، الذي قال عنه علماء الرجال: «هو وأبوه يسرقان الحديث» و «كذّاب» و «ضعيف» وغيرها من العبارات صريحة الذم والجرح(١).

١- انظر ميزان الاعتدال ١: ٢٢٢.

٢ ـ سيف بن عمر، الذي قالوا عنه: «وكان سيف يضع الحديث» و «وقد اتّهم بالزندقة» و «عامة حديثه منكر» و «ضعيف» و «متروك» وغيرها(١).

٣ ـ صالح بن موسى الطلحي، الذي قالوا عنه: «ليس بشيء» و «لا يكتب حديثه» و «عامة ما يرويه لا يتابعه عليه أحد» و «منكر الحديث» و «ضعيف» و «متروك» وغيرها من العبارات(٢).

٤ ـ كثير بن عبد ا بن عمرو، وقالوا فيه: «ليس بثقة» و «ركن من أركان الكذب» و «متروك» وغيرها من العبارات الذامة(٣) يجدها المراجع في كتب الرجال.

فهل بعد ما ذكر في ترجمتهم نركن لرواية عنهم، بل ونعتمدها كمصدر نستقي منه ديننا؟!

والمفارقة العجيبة أن هذه الرواية الساقطة علمياً باعتراف علماء الرجال، والتي لم يخلو سندها من مقدوح فيهم(٤) تشتهر تلك الشهرة

١- انظر ميزان الاعتدال ٢: ٢٥٥، تاريخ الإسلام ١١: ١٦٣، تهذيب التهذيب ٤: ٢٦٠.

٢- انظر ميزان الاعتدال ٢: ٣٠١، تاريخ الإسلام ١٢: ١٨٨ تلخيص الحبير لابن حجر ٥: ٥٦٠، تهذيب التهذيب ٤: ٣٥٥.

٣- انظر ميزان الاعتدال ٣: ٤٠٦، تاريخ الإسلام ١٠: ٤٠٩، تهذيب التهذيب ٨: ٣٧٧.

٤- نعم حاول البعض جاهداً إثبات اعتبار هذا الحديث ضاربا ببعض القواعد الرجالية عرض الجدار.

العظيمة، بل وترسل إرسال المسلّمات واليقينيات، وتهمل الرواية الصحيحة سنداً ومتناً، والتي رواها أكثر من ثلاثين صحابياً، بل ويشهر بمن يرويها وينقلها كأنّه أحدث بدعة كبيرة لا تغتفر؟ وما عشت أراك الدهر عجباً.

ولنرجع إلى تعيين الأئمة، فلقد صرح أصحاب المباهلة والكساء (عليهم السلام) بعددهم تارة، وهو إثنا عشر، وبأسمائهم تارة، وبأسمائهم وأسماء أمهاتهم وألقابهم تارة أخرى، فوجب التسليم لهم فيما قالوه، وفيما أمروا به ونهوا عنه، هذا مع أنّهم قد ذكروا ضمناً في آية التطهير، فالمقصود من أهل البيت: أهل بيت النبوة، وهم المعصومون الأربعة عشر.

فقال صاحبي: ولكن ما ذكرته لا يساعد عليه مورد السياق ؛ إذ الآيات السابقة واللاحقة لآية التطهير تتحدث عن نساء النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) فلماذا لا يمكن أن يكون هن التطهير من هذه الآية الكريمة؟ وهذا هو السؤال الثاني.

فقلت:كان متوقعاً ما ذكرت ؛ لأنّه لا يمكن أن يغفل طالب الحق مثل هذا الاحتمال، خاصة مع ظهوره في مورد السياق كما ذكرت، لكن هذا الظهور يضمحل بأدنى تأمل لمن كان تالياً للقرآن الكريم، ومطالعاً لصدر التاريخ الإسلامي، وملماً ولو ببدايات علم النحو فنقول:

أولا: المطالع لسورة التحريم من أولها إلى الآية الخامسة منها مع

ملاحظته لسبب نزولها تنكشف له الحقيقة، وأن نساء النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) لا تشملهن آية التطهير جزماً ؛ إذ كيف تشملهن وفيهن عائشة وحفصة، وحسبك ما أخرجه البخاري(١) عن عائشة نفسها، قالت: كان رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) يشرب عسلا عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير؟ قال: لا، ولكن أشرب عسلا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، لا تخبري بذلك أحداً» لكنّها أخبرت وخالفت نهي رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) قال تعالى: {وإِذْ أَسر النبِي إِلَى بعضِ أَزواجِه حديثاً فَلَما نَبأَتْ بِه وأَظْهره ا ُ علَيه عرفَ بعضه وأَعرض عن بعض فَلَما نَبأَها بِه قَالَتْ من أَنْبأَك هذَا قَالَ نَبأَني الْعليم الْخَبِير}(٢) فما فعلتاه من التواطؤ، وما فعلته عائشة من الإنباء، ومخالفة نهي الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) كيف يتّفق منطوق الآية الكريمة الصريحة في نفي الرجس مطلقاً وإثبات الطهارة المطلقة.

قال تعالى: {إِن تَتُوبا إِلَى ا ِ فَقَد صغَتْ قُلُوبكُما وإِن تَظَاهرا علَيه فَإِن ا َ هو مولاَه وجِبرِيلُ وصالِح الْمؤْمنين والْملاَئِكَةُ بعد ذَلِك ظَهير}(٣) وهذا تصريح آخر واضح بارتكابهما المعصية {إِن تَتُوبا إِلَى ا ِ فَقَد صغَتْ قُلُوبكُما} أي مالت وعدلت عن الحق، وأنت

١- صحيح البخاري ٦: ١٦٧.

٢- سورة التحريم: ٣.

٣- سورة التحريم: ٤.

تلاحظ معي كيف أن ا ـ عز وجلّ ـ لم يذكر رحمته أو مغفرته عقب ذكر التوبة، كما هو الشأن في بقية الآيات الكريمة، بل عقّبها ا بما هو أشد وأرهب، حيث قال تعالى: {وإِن تَظَاهرا علَيه فَإِن ا َ هو مولاَه وجِبرِيلُ وصالِح الْمؤْمنين والْملاَئِكَةُ بعد ذَلِك ظَهِير} وقد صرح بذلك عمر بن الخطّاب كما ورد في صحيح البخاري بما نصه «عن ابن عباس رضي ا عنهما، قال: ثم لبثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) فجعلت أهابه، فنزل يوماً منزلا، فدخل الأراك، فلما خرج سألته، فقال: عائشة وحفصة، ثم قال: كنّا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً، فلما جاء الإسلام وذكرهن ا رأينا لهن بذلك علينا حقّاً في شيء من أمورنا، وكان بيني وبين أمرأتي كلام فأغاظت لي، فقلت لها: وإنّك لهناك، قالت: تقول هذا لي وابنتك تؤذي النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)، فأتيت حفصة، فقلت لها: إنّي أحذّرك أن تعصي ا ورسوله، وتقدمت إليها في أذاه، فأتيت أم سلمة، فقلت لها، فقالت: أعجب منك يا عمر، قد دخلت في أمورنا فلم يبق إلاّ أن تدخل بين رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) وأزواجه، فرددت، وكان رجل من الأنصار إذا غاب عن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) وشهدته أتيته بما يكون، وإذا غبت عن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) وشهد أتاني بما يكون من رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)»(١)!

١- صحيح البخاري ٧: ٤٦ كتاب اللباس، صحيح مسلم ٤: ١٩٠، باب في الايلاء والاعتزال.

وقد قال تعالى: {وقَرن في بيوتكُن ولاَ تَبرجن تَبرج الْجاهلية الْأُولَى}(١) ولكن عائشة لم تقر، بل خرجت، وأي خروج خرجت تقابل أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) وما أدراك ما علي؟ وذلك لما علمت بانعقاد الخلافة له، وكانت حجتها الإصلاح بين الناس، والطلب بدم عثمان، وهي القائلة: «اقتلوا نعثلا فقد كفر»(٢) والغريب أن عائشة أرسلت إلى أمهات المؤمنين تسألهن الخروج معها إلى البصرة، فما أجابها إلى ذلك منهن إلاّ حفصة، لكن أخاها عبد ا أتاها فعزم عليها بترك الخروج فحطّت رحلها بعد أن همت(٣).

أفمن تفعل ذلك تكون مطهرة مطلقاً؟! إذن كيف تشمل آية التطهير نساء النبي (صلى ا عليه وآله وسلم)؟! والخطاب في السياق لهن جميعاً والتخصيص بلا دليل، بل الدليل على خلافه.

ثانياً: أن الضمير المذكور في الآية عنكم {يطهركم} إنّما هو ضمير الذكور، والسياق إنّما كان يقتضي ضمير النسوة كما هو الملاحظ، فدلّ اختلاف الضمير على اختلاف المخاطب جزماً.

ثالثاً: لازم ما قلت ـ لو كان صحيحاً ـ تناقض القرآن الكريم، فبينما يخبرنا ا تعالى بتطهيره لهن مطلقاً، يخبرنا في سورة أخرى

١- سورة الأحزاب: ٣٣.

٢- تاريخ الطبري ٣: ٤٧٦، الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٦.

٣- انظر: البداية والنهاية ٧: ٢٥٨، الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٨، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٦: ٢٢٥.

بما عرفت، فإما أن تلتزم بتناقض القرآن مع ما فيه من الرد على ا ـ عز وجلّ، وإما أن تقر بعدم شمولها لهن، وإنّها تشمل أهل البيت (عليهم السلام) على ما ذكرناهم سابقاً، ولك الخيار! مع أن ما ذكرت من الفهم مخالف لحديث الثقلين المتواتر كما سبق بيانه.

رواية أخرى هامة في المقام

فقال صاحبي: اذكر لي نصوص أهل البيت على الأئمة من بعدهم.

قلت: قبل أن أذكر لك النصوص بالتحديد، سأذكّرك بحديث أعتقد أنّك سمعته من قبل، وهو حديث لا شك فيه، مسلّم ؛ لثبوته بالتواتر المقطوع به، حيث قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» أو «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية» أو «من مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية»(١) حيث ورد بصيغ مختلفة زيادة في التأكيد، والحثّ على معرفة الإمام، والبيعة له.

١- مسند أحمد ٤: ٩٦، مجمع الزوائد ٥: ٢١٨، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٥٩، المعجم الكبير للطبراني ١٩: ٣٨٨، مسند الشاميين للطبري ٢: ٤٣٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ١٥٤، كنز العمال للمتقي الهندي ١: ١٠٣، علل الدارقطني ٧: ٦٣، حلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٣: ٣٧٢، صحيح بن حبان ١٠: ٤٣٤، السنة للخلال ١: ٨١، منهاج السنة النبوية ١: ٥٢٩.

والحديث موجه للمسلمين كافّة إلى يوم القيامة ـ كما ترى ـ حيث لا نبي بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) فنحن بإزاء هذا الحديث بين أمرين لا ثالث لهما: إما أن يكون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عرف لنا هؤلاء الأئمة المستمرين على امتداد الزمان بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يوم القيامة فقد ثبت المطلوب، أولم يقم بذلك، ومعناه أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أوقعنا في ميتة الجاهلية، وحاشاه (صلى الله عليه وآله وسلم) فثبت الأمر الأول.

ومن أوضح الروايات التي تؤكّد هذه الحقيقة ما جاء في صحيح البخاري ومسلم: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»(١) ونفس النص ورد أيضاً في مسند أحمد(٢)، ونفسه ورد في سنن البيهقي(٣)، وغيرها من المصادر الحديثية، مما يؤكّد أن الإمامة ممتدة طالما وجد بشر، وأن وجوب معرفة الإمام متوجه إلى كلّ مكلّف، ويجب أن يبحث عنه، وإلاّ مات على غير الإسلام إذا لم يكن قاصراً، وقد تبين مما سبق أن الإمامة الركن الأصيل في الدين، حيث قلنا: إنّه لولا الإمامة لذهب جهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ضياعاً، والعلّة المقتضية لوجودها لم تزل، فلو عرج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الملأ الأعلى، ولم يبين لنا الأئمة الهادين بعده لم يكن الدين كاملا، بل يكون قد جرد من محتواه، وفقد حياته، وأصبح مدعاة للضلال والاختلاف.

١- صحيح البخاري ٤: ١٥٥، صحيح مسلم ٦: ٢.

٢- مسند أحمد بن حنبل ٢: ٢٩، ٩٣، ١٢٨.

٣- السنن الكبرى ٣: ١٢١.

فهل من المعقول أن يبعث ا رسوله (صلى ا عليه وآله وسلم) بدين يعلم مسبقاً بعدم قيمته وفائدته؟! هل يعقل أن ينزل علينا دينا ناقصاً، وفعل ا دائماً لا يمكن أن يوسم بالنقص؟! إذن لابد وأن يكون دينه كاملا، إذن فقد بين لنا الأئمة بعد رسوله (صلى ا عليه وآله وسلم) وهو ما حدث، وسنبينه بالدلائل القطعية.

المراد من النعمة في آية الإكمال

قال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}(١) وقد نزلت هذه الآية الكريمة بعدما قال تعالى: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين}(٢).

أي أمر هذا الذي إن لم يبلّغه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فكأنّه لم يبلّغ الرسالة من أساسها؟ وكان ذلك في حجة الوداع أي أن كلّ الشريعة من صلاة وصيام وزكاة وأحكام الزواج والطلاق وأحكام الميراث، وما إلى ذلك من أحكام الشريعة قد بلّغه لنا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقطع، والأمر المأمور بإبلاغه (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأهمية بحيث إن جهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) طيلة ثلاث وعشرين سنة متوقّف على إبلاغه، فهذا الأمر أهم من كلّ ما بلّغه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ الأمر المأمور به هو جوهر هذه الرسالة وهو الضامن لاستمرارها حية، تؤدي دورها المفترض لها، وهو المقوم لها بحيث

١- سورة المائدة: ٣.

٢- سورة المائدة: ٦٧.

لولاه لأصبحت عديمة الفائدة بلا جدوى.

ومما سبق بيانه علم أن هذا الأمر لم يكن إلاّ أمر الإمامة وتعيين الأئمة من بعده، فلولاهم لما قام للدين عمود، والنعمة من معانيها الواضحة في القرآن الكريم هو رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) ولذا قال تعالى {وأَتْممتُ علَيكُم نعمتي} والشاهد على النعمة بالمعنى الذي ذكر قوله تعالى: {واذْكُروا نعمةَ ا ِ علَيكُم إِذْ كُنْتُم َأعداء فَألفَ بين قُلُوبِكُم فَأصبحتُم بِنعمته ِإخْواناً وكُنْتُم علَى شفَا حفْرة من النارِ فَأَنْقَذَكُم منْها كَذَلِك يبين ا ُ لَكُم آياته لَعلكُم تَهتَدون}(١).

إذ لم تذهب العداوة بين الأوس والخزرج، ـ التي طالت مائة سنة، حيث لا يضعون سلاحاً لا باليل ولا بالنهار، حتّى شب على ذلك جيل بأكمله فلم تذهب تلك العداوة ولم تخمد نارها إلاّ برسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) فهو النعمة المرادة في الآية، ولكنّها كانت نعمة لم تتم بعد، ليس المراد، ذاته الشريفة (صلى ا عليه وآله وسلم) بل المراد تماميتها بالنسبة إلى الأمة بعده (صلى ا عليه وآله وسلم) فبالأئمة تمت النعمة، وكمل دين ا سبحانه وتعالى.

فقال صاحبي: إن آية الإكمال سابقة لآية التلبيغ، وبين الأولى والثانية أربع وستّون آية، فكيف تكون اللاحقة قد نزلت قبل السابقة؟

قلت: الجواب واضح، فالقرآن الكريم الذي بين أيدينا لم يجمع مرتباً بحسب تسلسل نزول الآيات، فيمكن أن يقدم اللاحق على السابق، أو تأخّر السابق على اللاحق، والذي يتدبر القرآن ؛ ليخرج

١- سورة آل عمران: ١٠٣.

منه بموضوع متكامل إنّما يتدبر تدبراً متكاملا بتتبع الآيات كلّها ذات الصلة بالموضوع المبحوث عنه، فلاضير من هذا الذي ذكرت مع أن هذا قليل في القرآن الكريم، ويدرك بقليل من التأمل، مع أن ما ذكرت من تمامة الدين قبل تبليغ هذا الأمر إذ كيف يكمل الدين وبعد لم يتم تعيين الإمام بعد الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم)؟! مع ما عرفت من الأهمية البالغة لهذا الأمر، وكيف يقول ا تعالى: {الْيوم َأَكْملْتُ لَكُم دينَكُم} ثم بعد ذلك يعين الإمام بعد الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم)؟! فهذا كلام مضطرب للغاية، لا يمكن أن يصدر من حكيم.

نصوص تعين اثني عشر معرفاً

وإليك ما سألت بعضاً من الأحاديث الناصة على عددهم وأسمائهم، فقد روى الشيخان (البخاري ومسلم) واللفظ للأول: عن جابر بن سمرة «يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنّه قال: كلّهم من قريش»(١).

ورواية مسلم(٢): «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلا، كلّهم من قريش».

في رواية أخرى «إن هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي له فيهم اثنا عشر خليفه».

١- صحيح البخاري ٨: ١٢٧.

٢- صحيح مسلم ٦: ٣.

وفي رواية ثالثة «لا يزال الإسلام عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة».

وعن أبي داود(١) وفي ينابيع المودة عن سلمان الفارسي (رضي ا عنه) قال: دخلت على النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) فإذا الحسين (عليه السلام) على فخذيه، وهو يقبل عينيه، ويقبل فاه، ويقول: «أنت سيد ابن سيد أخو سيد، أنت إمام ابن إمام أخو إمام، أنت حجة ابن حجة، أنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم»(٢).

وعن ابن عباس (رضي ا عنه) قال: سمعت رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»(٣).

عن عباية بن ربعي عن رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): «أنا سيد النبيين، وعلي سيد الوصيين، إن أوصيائي بعدي اثنا عشر، أولهم علي وآخرهم القائم المهدي»(٤).

عن علي (عليه السلام) قال: «الأئمة من ولدي فمن أطاعهم فقد أطاع ا ، ومن عصاهم فقد عصى ا ، هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى ا تعالى»(٥).

١- سنن أبي داود ٢: ٣٠٩، وانظر: مسند أحمد بن حنبل ٥: ٨٧، سنن الترمذي ٣: ٣٤٠، المستدرك للحاكم ٣: ٦١٧، وغيرها من المصادر.

٢- ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٢: ٣١٦، ٣٩٤.

٣- ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٢: ٣١٦.

٤- ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٢: ٣١٦.

٥- ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٢: ٣١٨.

وعن ابن عباس (رضي ا عنه) قال: قدم يهودي يقال له نعثل، فقال: يا محمد، أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يديك، قال (صلى ا عليه وآله وسلم): «سل، يا أبا عماره»، فسأل إلى أن قال: فأخبرني عن وصيك من هو؟ فما من نبي إلاّ وله وصي، وأن نبينا موسى بن عمران (عليه السلام) أوصى يوشع بن نون.

فقال (صلى ا عليه وآله وسلم): «إن وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين، قال: يا محمد، فسمهم لي، قال: إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر...» الخ(١).

وعن ابن عباس قال: قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): «إن خلفائي وأوصيائي وجميع حجج ا على الخلق بعدي اثنا عشر: أولهم أخي وآخرهم ولدي»، قيل: يا رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) ومن أخوك؟ قال: «علي بن أبي طالب (عليه السلام)»، قيل: فمن ولدك؟ قال: «المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلا، كما ملئت ظلماً وجوراً، والذي بعثني بالحق بشيراً لولم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطول ا ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ولدي المهدي، ينزل روح ا عيسى بن مريم فيصلّي خلفه، وتشرق

١- ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٣: ٣٨٢.

الأرض بنور ربها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»(١).

وعن أبي سليمان ـ راعى رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) ـ قال: سمعت رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) يقول: «ليلة أسري بي إلى السماء، قال لي الجليل جلّ جلاله: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه.

فقلت: والمؤمنون،

قال: صدقت،

قال: من خلّفت في أمتك؟

قلت: خيرها.

قال: علي بن أبي طالب؟

قلت: نعم يا رب.

قال: يا محمد، إنّي اطّلعت إلى أهل الأرض اطّلاعة فاخترتك منهم، فشققت لك اسماً من أسمائي، فلا أذكر في موضع إلاّ ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطّلعت ثانية فاخترت منهم علياً فسميته باسمي، يا محمد، خلقتك، وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين من نوري، وعرضت ولا يتكم على أهل السماوات والأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن يجحدها كان عندي من الكافرين، يا محمد، لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتّى ينقطع، أو يصير كالشن البالي، ثم جائني جاحداً لولايتكم ما غفرت له يا محمد، تحب أن تراهم؟

١- ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٣: ٢٩٥.

قالت: نعم، يا رب.

قال لي: انظر إلى يمين العرش، فنظرت، فإذا علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي ومحمد المهدي كأنه كوكب دري بينهم وقال: يا محمد، هؤلاء حججي على عبادي وهم أوصيائي، والمهدي منهم...» أيضاً أخرجه الحموي(١).

وعن ابن عباس، قال: قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): «إن علياً وصيي، ومن ولده القائم المنتظر المهدي، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر»، فقام إليه جابر بن عبد ا فقال: يا رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، وللقائم من ولدك غيبة؟

قال: «إي وربي، لا يمحص ا الذين آمنوا ويمحق الكافرين»، ثم قال: «يا جابر، إن هذا أمر من أمر ا وسر من سر ا ، فإياك والشك، فإن الشك في أمر ا ـ عز وجلّ ـ كفر»(٢).

وعن عمر بن قيس، قال: كنّا جلوساً في حلقة فيها عبد ا بن مسعود، فجاء أعرابي، فقال: أيكم عبد ا بن مسعود؟

١- ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٣: ٣٨٣.

٢- ينابيع المودة للقندوزي ٣: ٢٩٦.

قال: أنا عبد ا بن مسعود.

قال: هل حدثكم نبيكم كم يكون بعده من الخلفاء؟

قال: نعم، اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل(١).

وعن جابر بن عبد ا الأنصاري، قال: دخل جندل بن جنادة بن جبير اليهودي على رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) فقال:... إلى أن قال أخبرني يا رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) عن أوصيائك من بعدك لأتمسك بهم.

قال: «أوصيائي الاثنا عشر».

فقال جندل: هكذا وجدناهم في التوراة، وقال: يا رسول ا سمهم لي، فقال: «أولهم سيد الأوصياء، أبو الأئمة علي، ثم ابناه الحسن والحسين، فاستمسك بهم، ولا يغرنّك جهل الجاهلين، فإذا ولد علي بن الحسين زين العابدين يقضي ا عليك، ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه».

فقال جندل: وجدنا في التوراة وفي كتب الأنبياء (عليهم السلام) إيليا وشبر وشبيرا، فهذه أسماء علي والحسن والحسين، فمن بعد الحسين؟ وما أسماؤهم؟

قال: «إذا انقضت مدة الحسين فالإمام ابنه علي ويلقّب بزين العابدين، فبعده ابنه محمد يلقّب بالباقر، فبعده ابنه جعفر يدعى بالصادق، فبعده ابنه موسى يدعى بالكاظم، فبعده ابنه علي يدعى بالرضا، فبعده ابنه محمد يدعى بالنقي والزكي، فبعده ابنه علي يدعى

١- ينابيع المودة للقندوزي ٢: ٣١٤.

بالتقي والهادي، فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري، فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة فيغيب، ثم يخرج، فإذا خرج يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً، طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبتهم، أولئك الذين وصفهم ا في كتابه وقال: {هدى لِلْمتقين * الذين يؤْمنُون بِالْغَيبِ}(١) ثم قال تعالى {أُولَئِك حزب ا ِ أَلاَ إِن حزب ا ِ هم الْمفْلحون}(٢)» فقال جندل: الحمد الذي وفّقني لمعرفتهم...(٣).

وأكتفي بهذا القدر من الروايات، وإن كان قليلا فهو كاف في الإيصال إلى المطلوب. وكماترى كلّ ما جئت به من أحاديث هي من كتبك.

وأعتقد أن شمس الحقيقة قد سطعت بلا حجاب، وانقشعت ظلمة الجهل والريب بلا إياب.

استفسار

فقال صاحبي: درك، فقد أوضحت لي ما كان ملتبساً بواضح البرهان، بما لا يدع مجالا لشك أو شبهة، لكن ثمة استفسار بسيط، وهو ما الموقف ممن خلفوا رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) ظاهراً؟

فقلت له: كتاب ا واضح وصريح، قال تعالى: {من يطع

١- سورة البقرة: ٣٠٢.

٢- سورة المجادلة: ٢٢.

٣- ينابيع المودة للقندوزي ٣: ٢٨٤.

الرسولَ فَقَد أَطَاع ا َ ومن تَولى فَما أَرسلْنَاك علَيهم حفيظاً}(١).

وقال سبحانه: {إنما ولِيكُم ا ُ ورسولُه والذين آمنُوا الذين يقيمون الصلاَةَ ويؤْتُون الزكَاةَ وهم راكعون * ومن يتَول ا َ ورسولَه والذين آمنُوا فَإِن حزب ا ِ هم الْغَالِبون}(٢) إلى غيرها من الآيات الكريمة.

وهناك خطبة للإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة تسمى بـ «الشقشقية» تناول (عليه السلام) فيها ما كان من أمر الخلافة، راجع النهج شرح الشيخ محمد عبده، تحقيق الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل طبعة دار الأندلس صفحة: ٣٩ وما بعدها.

وراجع أيضاً خطبة الزهراء (عليها السلام) التي ألقتها في مجلس يضم الخليفة الأول وحشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ؛ لتطلع على حقيقة الأمر، وقد ذكرها الأستاذ توفيق أبو علم في كتابه (فاطمة الزهراء) ضمن سلسلة أهل البيت، فراجعها هناك ـ إن شئت ـ بالرغم من حذفه لمقطع مهم بها، ولكن ما ذكره فيه البلغة.

ولأوضح لك جلية الحال، إليك هذا البيان: قال تعالى: {وما محمد إِلا رسولٌ قَد خَلَتْ من قَبله الرسلُ أَفَإِين ماتَ أَو قُتلَ انْقَلَبتُم علَى أَعقَابِكُم ومن ينْقَلب علَى عقبيه فَلَن يضر ا َ شَيئاً وسيجزِي ا ُ الشاكرِين}(٣).

١- سورة النساء: ٨٠.

٢- سورة المائدة: ٥٥، ٥٦.

٣- سورة آل عمران: ١٤٤.

فقد بين سبحانه أن بعد انقضاء حياة الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) في الدنيا ستحدث فتنة، وهي الانقلاب على الأعقاب، وستحتفظ فئة بثباتها ويقينها وهم {الشاكرين} كما هي العادة والسنّة في الأمم السابقة بعد انقضاء حياة رسلهم، وهي سنّة تاريخية، ولإثبات هذه الحقيقة قال تعالى: {تِلْكَ الرسلُ فَضلْنَا بعضهم علَى بعض منْهم من كَلم ا ُ ورفَع بعضهم درجات وآتَينَا عيسى ابن مريم الْبينَات وأَيدنَاه بِروحِ الْقُدسِ ولَو شَاء ا ُ ما اقْتَتَلَ الذين من بعدهم من بعد ما جاءتْهم الْبينَاتُ ولَكن اخْتَلَفُوا فَمنْهم من آمن ومنْهم من كَفَر ولَو شَاء ا ُ ما اقْتَتَلُوا ولَكن ا َ يفْعلُ ما يرِيد}(١) فحدوث ما كان من أمر الخلافة أمر ليس بعزيز وله نظائر كثيرة في التاريخ كما حدثنا القرآن الكريم.

أما سبب هذا الاختلاف فهو الظلم المتمثّل في الكبر والحسد اللذين كانا أُس الشقاق والمعصية منذ بداية الخلقة.

وشاهد ذلك ما رواه البخاري في صحيحه في باب قول المريض قوموا عنّي: عن ابن عباس رضي ا عنهما، قال: لما حضر رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي (صلى ا عليه وآله وسلم): «هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده»، فقال عمر: إن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب ا ، فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو

١- سورة البقرة: ٢٥٣.

والاختلاف عند النبي (صلى ا   عليه وآله وسلم)، قال رسول ا   (صلى ا   عليه وآله وسلم): قوموا.

قال عبيد ا : فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول ا   (صلى ا   عليه وآله وسلم) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم»(١).

مع أنّه سمع من رسول ا   (صلى ا   عليه وآله وسلم) في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة ـ أي قبل سبعين يوماً تقريباً من وفاة الرسول (صلى ا   عليه وآله وسلم) ـ ما رواه زيد بن أرقم: «ثم لما رجع رسول ا   (صلى ا   عليه وآله وسلم) من حجة الوداع، ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن، فقال: كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب ا   تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرقا حتّى يردا علي الحوض، ثم قال: إن ا   ـ عز وجلّ ـ مولاي، وأنا مولى كلّ مؤمن، ثم أخذ بيد علي (رضي ا   عنه) فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وذكر الحديث بطوله، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله»(٢).

١- صحيح البخاري ٧: ٩، ٨: ١٦١، صحيح مسلم ٥: ٧٦، المصنف لعبد الرزاق ٥: ٤٣٨، السنن الكبرى للنسائي ٣: ٤٣٣، صحيح بن حبان ١٤: ٥٦٢. وغيرها من المصادر.

٢- المستدرك للحاكم ٣: ١٠٩، وانظر حول حديث الغدير مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٦٤، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٩٣، المعجم الكبير للطبراني ٥: ١٦٦، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٢٨، وغيرها من المصادر الكثيرة، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ بعد ان نقل   <=

وأورده أيضاً ابن أبي شيبة في مصنّفه ونصه: حدثنا مطلب بن زياد، عن عبد ا بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد ا ، قال: كنّا بالجحفة بغدير خم، إذ خرج علينا رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»(١) أَبعد ما سمع ذلك مباشرة من المصطفى (صلى ا عليه وآله وسلم) يقول مقولته تلك؟ فالرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) يوصي أمته باتّباع الكتاب والعترة، ويكرر وصيته قبل وفاته بلحظات حتّى لا تضلّ الأمة ويطلب ممن حوله كتف ودواة لكي يكتب تلك الوصية حرصاً منه (صلى ا عليه وآله وسلم) وفجأة يخرج ذلك الشخص وبكل جرأة على مقام الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) ويقول: حسبنا كتاب ا !!

لا ليس هذا فحسب، بل يتّهم الرسول الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم) بما اتّهمه مشركوا قريش في بداية الدعوة من الهذيان! سبحان ا ، نفس المنطق ونفس الأهداف.

با عليك إذا كنت معاصراً لتلك الأحداث، وكنت ممن تَشرف بالوجود في تلك اللحظات، وسمعت الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) يأمرك بأن تأتي له بورقة وقلم، أو كتف ودواة ؛ ليكتب للأمة كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، فهل كنت ستقول ما قاله ذاك الشخص؟ أم ستسارع في تلبية الأمر؟ قطعاً ستسارع في تلبية أمر حبيب ا ورسوله الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم)، لكن ما

=> الحديث ـ: حديث صحيح بنظرية، بل الأول منه متواتر عنه (صلى ا عليه وآله وسلم) كما يظهر لمن تتبع اسانيده وطرقه وما ذكرت منها كفاية، سلسلة الاحاديث الصحيحة ٤: ٣٤٣، ٣٤٤، التعليق على الحديث رقم ١٧٥٠.

١- المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٩٥، ٤٩٦.

حدث في ذلك الوقت شيء آخر. وحسبنا الله ونعم الوكيل {وسيعلَم الذين ظلَموا أَي منقَلَب ينقلبون}(١).

في هذه الأثناء، وأنا أتحدث لمحت دموعاً تتدفّق من عيني صاحبي، ولكنّه تظاهر بأنّه يتابع ويستمع، وأنا بدوري تابعت الكلام وكأنّي لم ألحظ شيئاً.

فقلت: هل هناك تفسير لما حدث سوى ما قلنا في البداية من أنّه الكبر والحسد؟ وهناك الشواهد الكثيرة في التاريخ على ذلك، راجع شرح النهج لابن أبي الحديد وتاريخ الطبري والكامل في التاريخ وغيرها.

وعلى ضوء ما تقدم بحثه نقول جازمين: إن أهل البيت (عليهم السلام) خارج دائرة الانقلاب على الاعقاب فهم ـ قطعاً ـ أهل الإيمان {فَمنْهم من آمن} ومن دونهم غيرهم، فتشخيص الحقيقة بعد هذا البيان واضح للغاية.

استيضاح

فقال صاحبي: بقي استيضاح أود فهمه فإن ما قلتَه أنا متّفق عليه معك، ومؤمن به، حيث دلائلك لا يمكن لمنصف إنكارها، ولكن الأئمة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اثنا عشر، كما ثبت وكما ذكرت الروايات أن الثاني عشر سيغيب، ونحن نرى أنّه لا يوجد إمام الآن، فهل هو غائب الآن؟ ومتى سيخرج؟ ولماذا غاب؟

١- سورة الشعراء: ٢٢٧.

قلت: نعم، نحن في زمان غيبة ولي ا الإمام المهدي المنتظر (عج) ولايجوز الشك في ذلك نصاً من الرسول الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم) حيث إن جميع الأئمة الذين وردت أسماؤهم، وأخبر بهم الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) قد وجدوا، وعرفهم الخاص والعام؟، ولم يبق منهم سوى الإمام الثاني عشر، وحيث إنّه ورد اسمه نصاً في الروايات، وأنّه سيغيب عن أعين الناس لفترة، وجب التصديق بذلك والتسليم لرسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) خاصة أن من عينهم، وذكرهم بالاسم قد عرفتهم الأمة، فوجب عليها الانتظار إلى أن يأمره ا بالظهور.

هذا، وقد صرح علماء الإسلام بيوم ولادته، وصرحوا كذلك باختفائه، منهم على سبيل المثال:

أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي النصيبي في كتابه مطالب السؤول، الباب الثاني عشر(١).

أبو عبد ا محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، ذكر الإمام المهدي في كتابه كفاية الطالب(٢)، وكتابه البيان(٣).

نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة(٤).

١- مطالب السؤل ٢: ١٥٢.

٢- كفاية الطالب: ٣١٢.

٣- البيان في أخبار صاحب الزمان: ١٤٨.

٤- الفصول المهمة: ٢٨٢.

شمس الدين يوسف بن فرغلي بن عبد ا   البغدادي الحنفي، سبط أبي الفرج عبد الرحمن بن جوزي في آخر كتاب تذكرة خواص الأمة(١).

عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني في كتابه اليواقيت(٢).

الحافظ محمد بن محمد بن محمود البخاري من أعيان علماء الحنفية في كتابه فصل الخطاب(٣).

الحافظ أبو الفتح محمد بن أبي الفوارس في أربعينه المعروف، في الحديث الرابع(٤).

أبو المجد عبد الحق الدهلوي البخاري في رسالته في المناقب وأحوال الأئمة الأطهار(٥).

الحافظ ابن محمد أحمد بن إبراهيم بن هاشم الطوسي البلاذري في مسلسلاته(٦).

سليمان ابن خواجه كلان الحسين القندوزي البلخي في كتابه ينابيع المودة(٧).

١- تذكرة الخواص: ٣٢٥.

٢- اسعاف الراغبين للصبان الشافعي المطبوع في هامش نور الأبصار: ١٥٤ عن اليواقيت والجواهر.

٣- ينابيع المودة للقندوزي ٢: ٤٦٤.

٤- كشف الأستار: ٦٠.

٥- كشف الاستار: ٦٢، ٦٣.

٦- اسنى المطالب: ٨٦، ٨٧.

٧- ينابيع المودة ٢: ٥٤٣.

أحمد بن حجر الشافعي المصري في كتابه الصواعق المحرقة(٨).

أحمد بن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان(١).

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان في تاريخه المعروف(٢).

وغيرهم ممن صرح بولادته (عليه السلام) أما سبب غيبته فبينه الأئمة، أوصياء المصطفى (صلى ا عليه وآله وسلم)، فقد ورد عن الإمام الصادق جعفر بن محمد: «... كذلك بنو أمية وبنو العباس لما وقفوا على أن زوال الجبابرة على يد القائم منّا قصدوا قتله، ويأبى ا أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلاّ أن يتم نوره» راجع كتاب ينابيع المودة للقندوزي الحنفي تجد الكثير.

وقد صدرت الكثير من معاجزه (عليه السلام)، ودونت في الكتب، ورآه كثير من الناس، وفّقنا ا للتشرف برؤيته، والثبات على موالاته، إنّه سميع مجيب.

وهناك دعاء أوصانا أهل البيت (عليهم السلام) به يخص مولانا الإمام الحجة المهدي المنتظر «عجل ا تعالى فرجه الشريف» حاول أن تدعو به كثيراً لعلّك تتشرف برؤيته (عليه السلام) عياناً، وتسأله عما تريد، وهو هذا الدعاء:

١- الصواعق المحرقة: ٣١٣، ٣١٤.

٢- لسان الميزان ٢: ١١٩.

٣- وفيات الأعيان ٤: ٣١، ٣٢.

«اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كلّ ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلا وعيناً حتّى تسكنه أرضك طوعاً وتمتّعه فيها طويلا».

وهناك بعض الكتب التي فصلت ذكر أخبار الإمام، وولادته وعلاماته، وشمائله وعلامات ظهوره، وما إلى ذلك، منها: كتاب إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب (عليه السلام)، وكتاب النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب «عجل ا تعالى فرجه الشريف».

وأرجو أن نفصل الأمر في جلسات أخرى تكميلية إن شاء ا

سطوع شمس الفطرة

فقال: جزاك ا خيراً كثيراً، فلقد أوضحت لي معالم الطريق، وبينت لي الحجة إلى المحجة، ولكنّي أريد التعمق أكثر، والإحاطة بقدر الإمكان بما عليه أهل بيت النبوة (صلوات ا عليهم أجمعين) فدلّني على أسماء بعض الكتب ؛ لتكون نبراساً لي في الطريق.

قلت: الكتب أكثر من أن تحصى، ولكن إليك نزراً من تلك الكتب:

١ ـ الكافي، للشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

٢ ـ التوحيد، للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، بل جميع كتبه.

٣ ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي وكذلك كتابه إثبات الهداة.

٤ ـ بحار الأنوار، للشيخ محمد باقر المجلسي.

٥ ـ كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، للشيخ علي بن محمد الخزاز القمي.

٦ ـ الاحتجاج، للشيخ أحمد بن علي الطبرسي.

٧ ـ إحقاق الحق، للقاضي المرعشي التستري.

٨ ـ الغدير في الكتاب والسنّة والأدب،للشيخ عبد الحسين أحمد الأميني.

٩ ـ معجم رجال الحديث، للسيد أبي القاسم الخوئي.

١٠ ـ الميزان في تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي.

١١ ـ مواهب الرحمن في تفسير القرآن،للسيد عبد الأعلى السبزواري.

١٢ ـ فقه الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، للشيخ محمد جواد مغنية، وكذلك كتابيه الشيعة والحاكمون، والشيعة في الميزان.

١٣ ـ الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل، للشيخ جعفر السبحاني، بل جميع كتبه.

١٤ ـ دلائل الصدق، للشيخ محمد محمد حسن المظفر.

١٥ ـ مهذّب الأحكام، للسيد عبد الأعلى السبزواري.

١٦ ـ تفسير مجمع البيان للشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي.

١٧ ـ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين.

١٨ ـ المراجعات، للسيد عبد الحسين شرف الدين، وكذلك كتابه

النص والإجتهاد.

١٩ ـ موسوعة الإمام المهدي (عجل ا فرجه الشريف)، للسيد محمد صادق الصدر.

٢٠ ـ معالم المدرستين، للسيد مرتضى العسكري.

٢١ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى ا عليه وآله وسلم)، للسيد جعفر مرتضى العاملي.

٢٢ ـ سيرة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)، للسيد هاشم معروف الحسني.

٢٣ ـ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، للسيد حسن الصدر.

٢٤ ـ فلسفتنا وكتاب إقتصادنا، للسيد محمد باقر الصدر.

٢٥ ـ موسوعة الفقه، للسيد محمد الشيرازي.

٢٦ ـ كتب الشهيد الشيخ مرتضى المطهري.

٢٧ ـ كتب الدكتور زهير الأعرجي.

٢٨ ـ الحكمة المتعالية، للشيخ محمد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بصدر المتألّهين.

٢٩ ـ أصول الفلسفة والمذهب الواقعي، للسيد محمد حسين الطباطبائي، والشيخ مرتضى المطهري.

هذا غيض من فيض، ولكن نكتفي بهذا المقدار وإلاّ لطال بنا المقام.

فقال صاحبي: الحمد الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا ا ، لقد انشرح صدري، وتلاشت ظلمة الجهل بظهور نور

المعرفة، وسطوع شمس الفطرة، بعد أن حجبتْ سنوات وسنوات، فجزاك ا خير الجزاء، فأنا مدين لك بحياتي الكبرى.

قلت: لولا إخلاصك في طلب الحقيقة لما وفّقت إليها وقد قال تعالى: {إنك لاَ تَهدي من َأحببتَ ولَكن ا َ يهدي من يشَاء وهو َأعلَم بِالْمهتَدين}(١).

ولندعوا معاً: {ربنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبنَا بعد ِإذْ هديتَنَا وهب لَنَا من لَدنْك رحمةً ِإنك َأنْتَ الْوهاب}(٢).

وانتهت إلى هنا جلساتنا بأفضل ما تنتهي إليه نهاية، والحمد أولا وآخراً وصلّى ا على رسوله الأعظم والنور الأتم محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين أبد الآبدين.

١- سورة القصص: ٥٦.

٢- سورة آل عمران: ٨.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين / ابن عساكر الشافعي / نشر دار الفكر / بيروت ـ لبنان.

٣ ـ إسعاف الراغبين ـ المطبوع على هامش نور الإبصار / ابن الصباغ الشافعي / نشر: دار الفكر، مصورة على الطبعة المصرية، سنة ١٩٤٨م.

٤ ـ أسنى المطالب مناقب سيدنا علي بن أبي طالب / شمس الدين الجزري / نشر:مكتبة أمير المؤمنين (عليه السلام) / أصفهان ـ إيران.

٥ ـ البداية والنهاية / اسماعيل بن كثير الدمشقي / نشر: دار إحياء التراث العربي / الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ.

٦ ـ البيان في أخبار صاحب الزمان / محمد بن يوسف الكنجي الشافعي / دار التعارف للمطبوعات / بيروت ـ لبنان.

٧ ـ تاريخ الإسلام / الذهبي / تحقيق عمر عبد السلام تدمري / نشر: دار الكتاب العربي / الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م / لبنان ـ بيروت.

٨ ـ تاريخ الطبري / محمد بن جرير الطبري / نشر: مؤسسة

الأعلمي / بيروت ـ لبنان.

٩ ـ تاريخ مدينة دمشق / ابن عساكر الشافعي / تحقيق: علي تسيري / نشر: دار الفكر / طبع سنة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م / بيروت ـ لبنان.

١٠ ـ تذكرة الخواص / سبط بن الجوزي / نشر: مؤسسة أهل البيت / بيروت ـ لبنان.

١١ ـ تلخيص الحبير / ابن حجر العسقلاني / نشر دار الفكر.

١٢ ـ تهذيب التهذيب / ابن حجر العسقلاني / نشر: دار الفكر / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م / بيروت ـ لبنان.

١٣ ـ حلية الأولياء / أبو نعيم أحمد بن عبد الأصفهاني / نشر دار الكتاب العربي / الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٥هـ / بيروت ـ لبنان.

١٤ ـ خصائص أمير المؤمنين / النسائي / تحقيق: محمد هادي الأميني / نشر: مكتبة نينوى الحديثة / طهران ـ إيران.

١٥ ـ السنّة / أبو بكر أحمد بن محمد الخلال / تحقيق: عطية الزهراني / نشر دار الراية / الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م / الرياض.

١٦ ـ سنن أبي داود / أبو داود السجستاني / تحقيق: سعيد محمد اللحام / نشر: دار الفكر / الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م / بيروت ـ لبنان.

١٧ ـ سنن الترمذي / أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة

الترمذي / تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان / نشر: دار الفكر، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م / بيروت ـ لبنان.

١٨ ـ السنن الكبرى / البيهقي / نشر: دار الفكر.

١٩ ـ السنن الكبرى / النسائي / تحقيق: عبد الغفار سليمان / نشر: دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٠ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة / ناصر الدين الألباني / نشر: مكتبة المعارف / طبع سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م / الرياض.

٢١ ـ شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد المعتزلي / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / نشر: دار إحياء الكتب العربية.

٢٢ ـ صحيح ابن حبان / بترتيب ابن بلبان / محمد بن حبان / تحقيق: شعيب الأرنؤوط / نشر: مؤسسة الرسالة / الطبعة: الثانية، سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م / بيروت ـ لبنان.

٢٣ ـ صحيح البخاري / البخاري / نشر دار الفكر / طبع سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٤ ـ صحيح مسلم / مسلم النيشابوري / نشر: دار الفكر / الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م / بيروت ـ لبنان.

٢٥ ـ الصواعق المحرقة / ابن حجر الهيتمي / نشر: دار الكتب العلمية / طبع سنة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م / بيروت ـ لبنان.

٢٦ ـ علل الدارقطني / الدارقطني / تحقيق: محفوظ الرحمن زين ا / نشر: دار طيبة / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ / الرياض.

٢٧ ـ الفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي / نشر دار الأضواء / الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م / بيروت ـ لبنان.

٢٨ ـ الكامل في التاريخ / ابن الأثير / نشر دار صادر / سنة الطبع ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥ / بيروت ـ لبنان.

٢٩ ـ كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار / المحدث النوري / نشر: مكتبة نينوى الحديثة / طهران ـ إيران.

٣٠ ـ كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين / الكنجي الشافعي / نشر: مطبعة الغري / النجف الأشرف ـ العراق.

٣١ ـ كنز العمال / المتقي الهندي / تحقيق: بكري حياني / نشر: مؤسسة الرسالة / طبع سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م / بيروت ـ لبنان.

٣٢ ـ لسان الميزان / ابن حجر العسقلاني / نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م / بيروت ـ لبنان.

٣٣ ـ مجمع الزوائد / الهيثمي / نشر: دار الكتب العلمية / طبع سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م / بيروت ـ لبنان.

٣٤ ـ المستدرك على الصحيحين / الحاكم النيشابوري / نشر: دار المعرفة / طبع سنة ١٤٠٦هـ / بيروت ـ لبنان.

٣٥ ـ مسند أبي داود / سليمان بن داود الطيالسي / نشر: دار المعرفة / بيروت ـ لبنان.

٣٦ ـ مسند أبي يعلى الموصلي / أحمد بن علي التميمي / نشر:

دار المأمون للتراث / دمشق ـ سورية.

٣٧ ـ مسند أحمد / أحمد بن حنبل / تحقيق: أحمد محمد شاكر / نشر: دار الحديث / الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م / القاهرة ـ مصر.

٣٨ ـ مسند أحمد بن حنبل / أحمد بن حنبل / نشر دار صادر / بيروت ـ لبنان.

٣٩ ـ مسند الشاميين / الطبراني / تحقيق: حمدي عبد المجيد / نشر: مؤسسة الرسالة / الطبعة الثانية، سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م / بيروت ـ لبنان.

٤٠ ـ المصنف / ابن أبي شيبة الكوفي / تحقيق: سعيد اللحام / نشر: دار الفكر / الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م / بيروت ـ لبنان.

٤١ ـ المصنّف / عبد الرزاق الصنعاني تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي / نشر: المجلس العلمي.

٤٢ ـ مطالب السؤول في مناقب آل الرسول / محمد بن طلحة الشافعي / نشر: مؤسسة ام القرى / الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ / بيروت ـ لبنان.

٤٣ ـ المعجم الكبير / الطبراني / نشر: مكتبة ابن تيمية / طبع: دار إحياء التراث العربي / الطبعة الثانية / القاهرة ـ مصر.

٤٤ ـ منهاج السنّة النبوية / ابن تيمية / تحقيق: محمد رشاد سالم /

نشر: مؤسسة قرطبة / الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ.

٤٥ ـ وفيات الأعيان / ابن خلكان / نشر: دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م / بيروت ـ لبنان.

٤٦ ـ ينابيع المودة لذوي القربى / سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي / تحقيق: سيد علي جمال اشرف الحسيني / نشر: دار الأسوة / الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ / قم ـ إيران.